الإصلاح والتجديد

لدى طه حسين فى الأدب العربى

فى العصر الحديث

أ.د. صابر أحمد عبد الحافظ إبراهيم

الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية - بأسيوط

بسم الله الرحمن الرحيم

عرف طه حسين بتعدد اتجاهاته الفكرية، واهتماماته الثقافية والعلمية، فقد أسهم فى مجالات غير الأدب، بما أتيح له عبر سنوات عطائه وتجربته الطويلة، حيث عاصر أحداثاً مهمة من التغيرات الاجتماعية والسياسية فى مصر، وشهد مرحلة التطور التى لحقت بالعالم العربى إثر انتشارها فى أوربا، ففى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى، وبدايات القرن العشرين، شهد العالم أجمع ثورات فكرية، وسياسية، وعلمية داخلية مهمة، كان من شانها ذيوع الآثار التى خلفتها لتشمل إلى جانب مواطنها الأصلية فى أوربا كل بلد كانت له صلة به عن طريق الترجمة أو البعثات أو السفر، أو الاستعمار، أو التحالف، أو أى نوع من أنواع الصلات التى كانت سائدة وما تزال متلاحقة التطور والتقريب.

وطه حسين كان من أهم الشخصيات التى خضعت لعوامل تأثر وتفاعل كبيرين بما أفرزته الحضارة العالمية الأوربية من جوانب فكرية، وعلمية برزت أهم ملامحها فى منهجه العلمى فى البحث والدرس حيث تلقاه بطريقتين: إحداهما مباشرة والأخرى غير مباشرة.

أما الأولى فقد تمت حين درس على المستشرقين، ودرس معهم، وسافر إلى باريس، وتلقى علومه العليا هناك، فيما كانت الأخرى تتمثل فى الاطلاع بالسماع والاستيعاب والترجمة، ومن ثم التأليف بعد التفاعل، فهو شخص موهوب فى مجال الأدب، ودعم موهبته علماً وثقافة.

ولـ طه حسين دور أسهم به فى المجال الأدبى، وخاصة فى مجال دراسة الأدب العربى بما كان له أثره الذى أختير من أجله عميداً للأدب العربى.

فما هو الدور الذى أداه طه حسين فى الحقل الأدبى، أو ما هو الإسهام الحقيقى لعميد الأدب فى الميدان الذى أختير عميداً له؟؟[1]

إن طه حسين لم يكن الوحيد فى مجال الدرس الأدبى أو دراسة تاريخ الأدب العربى على صورة أدق، إذ كما رأينا فإن المجال رحب والمحاولين كثر، وقد بدأ أولى محاولاته فى هذا المجال بكتابة (حديث الأربعاء) عام ١٩٢٢م، وبه

كانت الخطوة الأولى لـ طه حسين حيث انطلق بالدرس الأدبى من مجال: معاهد العلم أو صفوة المثقفين المحدودة جداً إلى دوائر رحبة فسيحة، واستطاع بما له من جهارة الصوت، أو من خلال إشعال نار الخصومة بين المثقفين، وبالشجاعة الخارقة أن ينقل القضية الثقافية بعامة إلى مجلس النواب والشيوخ. وأن يتغلغل بها فى صفوف الجماهير العريضة من قراء الصحف اليومية.(٢)

كذلك فعلت مؤلفاته الأدبية ذات التميز والتجديد.

وقد تمثل عطاء طه حسين فى مراحل بدأت من العقد الثانى وانتهت بالعقد السادس من القرن العشرين، إذ قدم فى هذه المرحلة عصارة فكره وعلمه وتجاربه التى تمثلت فى أهم كتبه بدءاً بـ (ذكرى أبى العلاء المعرى) أو (تجديد ذكرى أبى العلاء)، و(حديث الأربعاء)، وإبداعاته القصصية والروائية ثم (خصام ونقد) ، و(من ادبنا الحديث).(٣)

وكان من أهم الكتب التى أثارت حوله ضجه كبرى لم يخمد أثرها حتى يومنا الحاضر هو كتابه (فى الشعر الجاهلى) والذى غدا (فى الأدب الجاهلى) بعدما تعرض للنقد والإحراق وتحول إلى قضية العقد الثانى من القرن العشرين ليس فى مصر وحدها وفقط، بل وفى العالم العربى على الإطلاق.

وإذا ما بحثنا ضمن الباحثين عن العوامل الأساسية التى أدت إلى الإتجاه وراء البحث عن الاستقلالية الشخصية لأدباء مصر فى ذلك الوقت وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، وثورة ١٩١٩م فى مصر، لوجدنا أننا لن نخطئ فى تحديد عامل رئيس، هو أن مصر فى تلك الحقبة كانت البادئة والمبادرة فى اتجاهات تعليمية، وأدبية، وفكرية، إلى جانب التغيرات التى تكونت نتيجة للأوضاع السياسية بعد الحرب، وتشكيل الأحزاب، مع معطيات الحقل الأدبى، تضافرت كلها نحو إيقاظ الحافز الوطنى فى داخل النفس حيث يتم التعبير عنه لدى المفكرين فى محاولات لإثبات الشخصية الوطنية، الأمر الذى ظهرت معه الرغبة إبان ثورتها فى عدة أساليب منها: وجود الأدب القومى، ومثل هذا الاتجاه محمد حسبن هيكل، ومنها استلهام الماضى الفرعونى ومثله أيضا محمد حسين هيكل فى بادئ الأمر.

أما إتباع الغرب والارتباط بشعوب حوض البحر الأبيض المتوسط فقد كان على رأس هذا الاتجاه طه حسين، إلى جانب محمد حسين هيكل، ومحمود عزمى.[٤]

ويمكننا أن نربط بين تأريخ هذا الاتجاه الحاد لدى الأدباء والمفكرين إبان الثورة خلال العقد الثالث من القرن العشرين، وبين تأريخ صدور كتاب (فى الشعر الجاهلى) وبذلك يمكننا أن نرفع بعض اللوم عن طه حسين، ونلتمس له العذر بمثل ما التمسناه لمحمد حسين هيكل حين هدأت ثورة هذا الاتجاه لديهم، وهو الذى كان يتجه إلى احتضان دعوة الفرعونية والأدب القومى، وكذلك جعل من الغرب ورجاله نماذج للاحتذاء[٥]، ثم ما لبث أن اتجه إلى البحث الإسلامى وربط الأدب العربى، وأدب مصر الإسلامية بماضيها المجيد وتراثها الإسلامى والعربى الأصيل خاصة وقد نجد ما يمهد لهذا العذر فى اتجاه طه حسين المعتدل فيما بعد هذا الكتاب، وبحثه فى السيرة وسعيه المتواصل لخدمة الثقافة العربية والأدب العربى، ورجال التأريخ الإسلامى.

وفيما يلى سوف نقف بإيجاز على أهدافه ومنهجه الإصلاحى فى تدريس الأدب العربى فى ضوء ما درسه منه فى المستوى الجامعى ثم أصدره فى كتب، ومنها ما أسهم به فى مجال الحركة الثقافية الفكرية، وذلك بتتبع شامل لأهم خطوط منهجه تمهيداً للخلوص بنتائج تحدد دور طه حسين فى الدعوة للتجديد والعمل على الاصلاح فى هذا المجال الذى يعد هو المؤسس الأول له فى مصر[٦]، ومن ثم فى البلاد العربية الأخرى حيث مضت تتبع فى مناهجها الدراسية النظام المصرى بكل محتوياته وأساليبه ومنها ما يتعلق بمجال الدراسة الأدبية فى الجامعات.

الخطوط الرئيسة لمنهج طه حسين فى دراسة الأدب:-

لم يكن طه حسين إلا واحداً ممن قدمتهم ثورة ١٩١٩م فى مصر بعد الحرب العالمية بكل آثارها وإنعكاساتها الفكرية والاجتماعية والنفسية، إلى جانب ما عرف عنه من رهافة الحس، وعمق الشعور، والحماسة نحو الأخذ والعطاء فى المجال العلمى والأدبى.

وكان قد تلقى دراسته العليا كما عرف عنه فى فرنسا، بعد دراسته فى الأزهر، مما أيقظ لديه شعوراً بإدراك المفارقات على شتى نواحيها فى مناهج التعليم وأساليب الدراسة، وطرق التحصيل، وفوراق المناهج العلمية التى كانت تسير عليها جامعات أوربا، وما هى عليه فى سطحيتها وهامشيتها فى الجامعة العربية، إذ بينما تتجه المناهج العلمية فى بحثها عن الحقيقة العلمية بأساليب موضوعية ومجردة ومنظمة، تتوافر لها المصادر والمراجع، ويحتويها جو علمى صرف، تجدها تضيع فى الأجواء التعليمية الداخلية بين التلقين المباشر، والمسلمات غير القابلة للجدل، والنتائج الخالصة، التى وصل إليها عن طرق غير علمية ولا موضوعية، ولعب دوره فيها الموقف الشخصى والتقليد الممل، والتلقى المتتالى من السلف إلى الخلف دون سعى أو ابتكار أو تجديد أو تطوير، ووجد طه حسين أن هذه طريق لا تؤدى إلا إلى التجمد والتقهقر، ولا تخدم التطوير الذى هو نتيجة طبيعية لمتغيرات الحياة والظروف العامة فيها والإنسان المتفاعل مع كل هذا.

ولقد تشكل منهج طه حسين فى دراسة الأدب العربى وفق العوامل الرئيسة التى شكلت مكوناته العلمية والثقافية، بعضها يرتبط بمؤثرات نفسية، وأخرى فكرية، وثالثة علمية.

أما المؤثرات النفسية[٧] فهى:-

١- مكونات مرحلة الدراسة الأولى فى الكتاب.

٢- مكونات مرحلة الدراسة فى الأزهر.

٣- مكونات التفاعل المختلفة مع الشخصيات التى مرت به فى المجال التعليمى فى المرحلتين السابقتين.

٤- مكونات مرحلة الدراسة فى باريس.

٥- مكونات مرحلة الإحساس القومى[٨] بعد ثورة ١٩١٩م وبعد العودة من باريس.

٦- مكونات الانقسام الحزبى فى مجتمعه والعوامل السياسية الداخلية.

أما المؤثرات الفكرية والعلمية فهى:-

١- شعوره بعجز مناهج الدراسة الأدبية كما كانت قائمة فى الجامعة المصرية التى درس بها.

٢- رفضه للقيم الفكرية التى كانت تقوم عليها.

٣- وقوفه على جوانب أرضت طموحه فى مناهج الدراسة فى الجامعات الغربية التى درس بها.

٤- تقديره لنظام المنهج العلمى فى البحث والدرس.

٥- تأثره بإبن خلدون ومنهجه التأريخى فى دراسة الأدب.

٦- تأثره بالمستشرقين فى مناهج دراستهم وتقسيمهم لتأريخ الأدب العربى.

٧- تأثره بالمفكرين الغربيين ومذاهبهم فى دراسة الأدب.

٨- اتجاهه الفكرى المستقل والمكون من جميع هذه المؤثرات.

وقد ولدت هذه المؤثرات لدى طه حسين مواقف تتمثل فى الآتى:-

١- سخطه على السائد من أساليب التعليم.

٢- نقده اللاذع ومحاولته إثارة التقليديين.

٣- شكه فى جاهلية الشعر الجاهلى.

٤- رفضه لاتباع الهوى فى النقد أو الدرس، والحرص على قواعد علمية فى منهج النقد.

٥- مجابهته للتناقض الذى ينتج من المعلمين والدارسين عند طرحهم للقيم السلوكية والأخلاقية والمعانى المجردة بالقول دون الالتزام بها عند الفعل كالصدق، والأمانة، والموضوعية[٩].

٦- شعوره بالاستياء لربط تأريخ مصر الأدبى ببغداد ودمشق، وعمله على تحقيق ذاتيتها الأدبية.

وكان من نتائج هذه المواقف أنه ذهب إلى اتباع خطوات شكلت منهجه فى دراسة الأدب وتأريخه فى الجامعة المصرية ظهرت فيما قدم من محاضرات تحولت فيما بعد إلى كتب مطبوعة مثل (حديث الأربعاء)، وفى (الشعر الجاهلى)، أو (الأدب الجاهلى)، كذلك فيما قدم من دراسات مثل: (تجديد ذكلاى أبى العلاء)،

أو فيما قدم من مؤلفات أدبية كانت قائمة بذاتها مثل: (مستقبل الثقافة فى مصر)، أو كانت جملة مقالات ومواضيع قام بنشرها فى الصحف والمجلات ثم ضمنها كتبا بذاتها، ولعل من أبرزها وأهمها كتابه (خصام ونقد)، وكذلك كتابه (من أدبنا المعاصر) كما أشرنا سابقا.

وطه حسين لم يكن أديباً ومفكراً ومؤرخاً فقط، بل له إسهامات تربوية مهمة يمكن أن تتجلى فيها جل مؤشرات منهجه.

ولقد عنى فيها (بالإنسان) بوصفه الأداة الفاعلة فى الحضارة، مؤثرة ومتأثرة، وعن وعيه ومعرفته وثقافته وقيمه ومفاهيمه وتركيبته اللغوية والذوقية والشعورية تتكون الحياة التى يعيشها ويمارس التعبير عنها والتفاعل معها.

إن منهج طه حسين فى درس الأدب هو خلاصة لمناهج عدة، ولعل أساسها الرئيس هو المنهج التأريخى فى الدراسة، ولا عجب، فإن طه حسين كان فى الأساس قد درس التأريخ والاجتماع فى فرنسا، وحصل على درجة الدكتوراه حول (ابن خلدون) وعين بعد عودته أستاذاً للتأريخ القديم فى الجامعة[١٠]، واستقى من منهج (ابن خلدون) ما يجعله يحتكم إلى العقل بأكثر مما يحتكم إلى الهوى، حتى إذا ما درس الأدب، وكتب فيه، وجدناه يرى أن درس الأدب لا يستقيم دون معرفة وإتقان للتأريخ والعلم به[١١].

وإلى جانب هذا الأساس، وجدناه يتشبع بمناهج غربية لعل من أبرزها فيما كتب ما أخذه من (تين) و(برونتيير)[١٢] الفرنسيين وطبق منهجيهما فى دراسته للأدب العربى وخاصة فيمن خصهم بالدراسة من الشعراء العرب الذين كتب عنهم فى (حديث الأربعاء)، وفيما قدمه من دراسة حول أبى العلاء المعرى، حيث رأى أنه أثر من آثار عصره وبيئته وأمته كما هو منهج (تين)[١٣].

من هنا جاءت اتجاهاته فى الدراسة خليطاً من المنهج التأريخى، ومنهج النقد الغربى، نجده يخرج تارة من دراسة الشاعر وشعره بخصائص عصره، وتارة أخرى يخرج من متابعة الشخصية التى يكتب عنها بخصائصها الفنية.

وطه حسين فى دراسته لأبى العلاء المعرى لم يتبع فقط هذا التكوين الممزوج من مناهج النقد الأدبى فقط، بل وجدناه مع ما فيها من إطالة وتقسيم يربط الشاعر بعصره، ويستنبط خصائص الشعر من شعره، الأمر الذى جعل بعض الدارسين يعدونها ترجمة أدبية تدخل فى هذا النوع الأدبى الذى كان بظهوره على يد طه حسين يعد تأريخاً لظهور هذا الفن العصرى المتعمق فى مصر للمرة الأولى، وتبعد عن معنى الدراسة الأدبية بمعناها المتطور بما كانت عليه فى وقتها المبكر آنذاك[١٤]، وهذا الاتجاه المنهجى لدى طه حسين- وإن لم يكن جديداً فى حد ذاته – إلا أنه كان به الأول من العرب الآخذين به والمطبقين له على الأدب العربى.

ولم يكن طه حسين الأول فى مجال الترجمة الأدبية، بل أيضاً كان الأول فى اجراء تبديلات على منهج العصور السياسية وخاصة فيما يتعلق بالعصر العباسى، إذ بينما نظر إلى تحديد سقوطه بسقوط بغداد معظم الدارسين والمؤرخين للأدب العربى، وجدنا طه حسين ينفى عن مراحل هذا العصر المتأخر صفة الانحطاط، وينظر إلى ما انشق عن هذه الدولة الكبيرة وسلسلة خليفتها من دويلات وخاصة ما حدث فى مصر فى نهاية القرن الرابع الهجرى، فقد جعل للوضع السياسى لهذه الدويلات اعتباراً كبيراً، ولما نتج عنه فى الحقل الأدبى من الرغبة فى تميز كل دولة بأدبها وأدبائها، مما حدا بالأدباء والمفكرين إلى إيقاظ روح التنافس فيما بينهم[١٥]، وعليه أصبح من غير اللائق إسباغ صفة الانحلال على العهود الأخيرة من العصر العباسى وعدم النظر بعين الاعتبار إلى ما جد فيها من أنواع أدبية فى الدويلات العديدة شرقاً وغرباً كمصر وإيران ونحوهما، وهو يقول فى ذلك " ... فإذا صح للمؤرخ السياسى أن يوقت قيام الدولة العباسية بسنة اثنتين وثلاثين ومائة، فليس يصح للمؤرخ الأدبى أن يجعل هذه السنة مبدأ حياة جديدة للآداب[١٦]، وعلى هذا المبدأ فليس يصح أن ينظر إلى مرحلة النصف الثانى من القرن الرابع بداية انحطاط للآداب حتى سقوط بغداد، ثم ما بعدها.

ونراه أفاد كذلك من منهج ابن خلدون فى وضعه قواعد علمية للدرس الأدبى تقوم على تحكيم العقل وعدم اتباع الهوى[١٧]، الأمر الذى استطاع معه أن يتناول الماضى بكل محتوياته بشكل ذكى ويخضعه بدقة متناهية لقوانين الحياة المعاصرة[١٨]، خاصة أنه يرى أن القدماء ما هم إلا بشر يجدون ويمزحون، ويحسنون ويسيئون[١٩]، لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، وبمثل ما نستطيع أن نتجرد فى النظر إلى أنفسنا مع الحياة ومعطياتها- السلبى منها والإيجابى- بمثل ما نكون أمناء فى النظر إلى الناس- قديمهم وحديثهم- وفى هذا الاتجاه يتمحور منهج طه حسين فى دراسة تأريخ الأدب القديم، وهو منهج طبق لأول مرة على يديه بين أدباء ومفكرى وباحثى العصر الحديث.

وموقف طه حسين من أمر التجرد من الهوى، واتباع الخطوات العلمية الدقيقة فى البحث والدرس الأدبى أدى به كذلك إلى أن ينهج فى دراسته للأدب العربى القديم وخاصة الشعر منهج الشك لدى (ديكادت) حيث يطرح الباحث فيه افتراضاته بما يدعو إلى الشك، حتى إذا ما اتبع خطوط هذه الافتراضات وما حولها من حيثيات وما يدور فى محورها من نقاط يصل منها إلى خيط اليقين فى نتيجة قد تقرب من الموافقة عليها، وقد تجنح عنها، على اعتبارات تختلف باختلاف إدراك القارئ لمنهج الكاتب، وقدرة الكاتب على ايصال مسوغاته إلى مواطن القناعة فى نفس القارئ، وقد كانت هناك عوامل تضافرت على رفض هذا المنهج الذى اتبعه طه حسين فى كتابه (فى الشعر الجاهلى)[٢٠]، كان من أولها حداثة هذا المنهج، وعدم موافقة فئة المحافظين والسياسيين الذين وقفوا فى جانب مضاد له كان من جرائه تلك الخصومة الفكرية والقضية الأدبية الكبرى التى أثيرت فى مصر- بل فى العالم العربى بأكمله- خلال العقد الثالث من القرن العشرين.

وحيث إننا فى هذا البحث نعنى باستخلاص منهج طه حسين فى الإصلاح والتجديد فى دراسة الأدب العربى وتأريخه من كتبه وما كتب عنه، ونظراً لأن هذه الكتب قد درست وتداولها القراء والباحثون بما يدعو إلى عدم الإفادة من استعراضها، فقد آثرنا الخروج منها بموجزات من شأنها تحديد خطوط خطواته فى

الإصلاح بما يخدم الدراسة، دون التعرض لما أثير من جدل حول بعضها مما يخرج الدراسة عن مسارها.

بداياته المنهجية فى الدراسة الأدبية :-

كان بحثه فى أبى العلاء المعرى عام ١٩١٤م ومجموعة مقالاته التى نشرها فى السياسة والجهاد وصدرت عام ١٩٢٥م فى كتابه تحت عنوان (حديث الأربعاء)، قد شملت أولى قواعد منهج طه حسين فى دراسة الأدب وتأريخه، وتتلخص هذه القواعد فى النقاط التالية:-

١- يرى عند الدراسة لأى أثر أدبى، أو لصانع هذا الأثر أن يخضع الدارس (طائفة من العلل المشتركة) للدراسة فى تكوين الأثر أو تكوين مزاج ونفسية الصانع، والعلل المشتركة عنده هى مادية معنوية، وهى أيضا مما لا صلة للإنسان به وهو فى ذلك يعتقد أن:-

الخطأ كل الخطأ أن ننظر إلى الإنسان نظرنا إلى الشئ المستقل عما قبله وما بعده ... عند الدراسة الأدبية، ... ليس فى هذا العالم شئ إلا وهو نتيجة من جهة، وعلة من جهة أخرى: نتيجة لعلة سبقته ومقدمة لأثر يتلوه. ولولا ذلك لما اتصلت أجزاء العالم(٢١).

ومع ذلك فإنه يجد أن الناس متشابهون مهما تختلف أزمنتهم وأمكنتهم، ومختلفون مهما تشتد بهم وجوه الشبه(٢٢)، وهو من هذا المنطلق التأريخى وبمثل ما نهج -ابن خلدون- مضى فى دراسة تأريخ الأدب العربى لا الأدب نفسه، ويمثل هذا فى كتابه (حديث الأربعاء) حين يؤرخ للأدباء وأدبهم وأزمانهم وأماكنهم أكثر مما ينقد بالدرس الآثار الأدبية ذاتها.

وهذا المنهج يؤكد نظرته إلى العوامل المكونة للأديب وأدبه والتى يراها تتشكل فى الزمان، والمكان، والحال السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، و"لسنا نحتاج إلى أن نذكر الدين، فإنه - كما يقول- أظهر أثراً من أن نشير إليه"(٢٣). وهو إذا ما حاول ولوج عالم وجدناه يعطى رأيا انطباعياً متأثراً بانفعاله إما إلى الإعجاب، وإما إلى نقيضه. وهو بذلك يميل إلى النقد الانطباعى التأثرى أكثر مما

يميل إلى التحليل الدقيق، بما غلب عليه من السمة فى مؤلفاته، على الرغم من أنه فى تفسيره للظواهر الاجتماعية والأدبية فى الجوانب التى خصت التأريخ الأدبى فى (حديث الأربعاء) قد استطاع أن يحتكم إلى العقل ولا يميل متأثراً بانفعاله الشخصى مع ما يكتب، وقد رأى بعض الدارسين أن الجزأين الأول والثانى من هذا الكتاب يبرزان أصالة طه حسين وتجديده فى هذا المجال[٢٤]. فهو قد تمكن من تقويم الشعر القديم وتفسير ظواهره الأدبية بشئ من التحديث، فيما يخص منح الشاعر فرصة التعبير عن تجربة قد تتماثل فى نوعها مع تجارب عادية تمر بأى إنسان فى أى زمان، وفى أى مكان، وقد يتساوى الإحساس بها، والانفعال معها مع اختلاف ظروف الحالة التى تتلبسها، أو ظروف الإنسان الذى يتفاعل معها.

٢- يرى أن الإنتاج الفكرى، والأدبى لا ينفرد به شخص، وإنما إنتاج الفرد عائد إلى جماعة تضافرت على وضعه وحرى بها أن يعود إليها العطاء بوضعه واعياً للثناء أو موجباً للقدح، من هنا لا يقر طه حسين استباحة المدح أو الذم لمن يكتب عنهم بحسن ما ينسب اليهم أو قبحه.

بمثل هذه النظرة إلى تضافر الجماعة فى صنع الأدب، يدعو إلى إتقان درس التأريخ والعلم به، ليستقيم درس الأدب، مما يساعد على إقامة الحجة على ذلك بما يؤهل اليه إتقان هذا العلم من فرص التقارب، والفهم بين أبناء القرن الأول الهجرى مثلا. عبر آثارهم الأدبية. وبين أبناء العصر الحديث، مع ما هنالك من اختلاف فى اللهجات وما لحق اللغة من التطور، وما هنالك من تباين فى أساليب التعبير.

وهو يرى أن الذين يتقنون اللغات الأوربية لا يجدون صعوبة فى فهم ما يتلقونه من ثقافة مختلفة عبر الآداب الأوربية بلغاتها، لاتقانهم هذه اللغات من جهة، ولدراستهم هذه الآداب وتلقيهم تلك الثقافات عن مناهج تتساوى ولا تختلف عن تلك التى يدرسونها ويقرأونها من جهة أخرى. وتساوى منهج الدرس بمنهج التدريس- أى توحيد وسيلة التلقى- عامل مهم فى نقل أدب الجماعة إلى الفرد فى أى زمان ومكان.

وهو لذلك يرى الفجوة بين الأدب العربى القديم وبين اتقان المنهج العلمى للتأريخ له هو السبب فى ازدراء بعض الدراسين أو القراء المعاصرين للأدب العربى القديم جهلا به، إذ " ما كان لمن يجهل شيئاً أن يحكم عليه"[٢٥]، ودراسة الأدب عن طريق معرفة تأريخه إنما يتحقق عن معرفة ضروب من منهج البحث. يتمكن الدارس بها من اكتشاف كنوز الأدب العربى، لا سيما أنه قوام الثقافة العربية كما يرى طه حسين، والممثل لها، وغذاء عقول أبنائها لأنه أساس هذه الثقافة، والمقوم للشخصية العربية، والمحقق لقوميتها، والعاصم للعرب من الفناء فى الأجنبى، والمعين لهم على معرفة أنفسهم، وهو لا يرغب فى أن يفرغ له الشباب أو يتخصصون فيه، لكنه يؤد أن يعرفوه، ويحسنوا العلم بأغراضه ومعانيه فهو سبيلهم إلى الإلهام ولا يقل عن الأدب الحديث[٢٦].

٣- ولعل الوصول إلى هذا الأدب لدراسته بما يكشف عن ذلك لا يتحقق والدارسون يهملون الأخذ عن مصادره، والإسناد إليها، فصدق الرواية، وإسناد المروى إلى مصدره إنما هو أمر ضرورى يؤكد عليه طه حسين، وفى ذلك إقرار لقاعدة علمية من أهم قواعد البحث يقول:

أصبح الرجل – فى العصر الحديث – يمتاز بحسن البحث، والتحليل، وإتقان التتبع والاستقراء، وإجادة النظر والاستنباط، ومن الواضح أن إظهارمصادره للناس، يعينه على إظهار حظه من ذلك، وإعلان قسطه من التفوق والنبوغ[٢٧].

تطبيقه فى الشعر الجاهلى أو الأدب الجاهلى:-

صاحب نشر هذا الكتاب ولادة الإشكالية الأساسية بين طه حسين وبين عامة النقاد والدراسين والمؤرخين ممن يقفون فى الجانب المضاد لمنهجه فيه، خاصة أنه كان عبارة عن مجموعة من المحاضرات التى ألقاها على طلبة الجامعات، وضمنها آراءه التى ذهبت مذاهب شتى، ومنحت درجات متفارتة من الأهمية والخطورة حيث أثارت جدلاً ونزاعاً فكريين عريضين لا تزال لهما آثار إلى يومنا الراهن.

ولعل منهج طه حسين الذى طبقه فى هذا الكتاب، كان هو محور هذا النزاع لما أدى إليه الشك القائم عليه من التجرد عن كثير من القيم السائدة والمتعارف عليها فى دراسة وفهم الأدب العربى القديم، من حيث تأريخه، ومن حيث نشأته ومن ارتباط لغته العربية بلغة القرآن الكريم، ومن حيث ارتباط ما جاء فى القرآن الكريم من القصص والأخبار والأسماء بعلم الله، وخلقه وتشريعه لحقائق مسلم بها أراد الله تعالى بإظهارها للناس إحاطتهم بما يتعظون به منها وبما يقدرون به القدرة الإلهية والعلم الإلهى، وهو قرآن منزل لا يرقى إلى الجدل حوله أى إنسان مهما أوتى من العلم، فى أى مجال جاء به.

ولقد كان مثار الجدل ما تعرض إليه طه حسين فى هذا الكتاب حول الشعر الجاهلى واللغة التى كتب بها، وحول أصل القحطانية والعدنانية، والعرب البائدة والمستعربة، وحول نسب محمد صلى الله عليه وسلم، وعلاقة الإسلام بدين إبراهيم عليه السلام، ونحو ذلك عما كتب عنه وأشبع بحثاً ونقداً وتفصيلاً، وكان منهج الشك الذى اتبعه طه حسين هو عنصر من عناصر المنهج النقدى الغربى فى دراسة التأريخ الأدبى ولا يخرج عن منهجه التأريخى الذى سبقت الإشارة إلى مصادره لدى الكاتب، وعنصر الشك الذى أقام عليه دراسته للشعر العربى القديم، وما يتصل به من الموضوعات السابقة إنما هو منهج عرف لدى الغربيين حين طبق على شخصية (هوميروس) الإغريقى عندما سعى "وولف" إلى تحقيق نسبة "الإلياذة" إليه وحده[٢٨]، ولعله باستخدامه لم يكن له من غرض سوى البحث العلمى الذى كان يرى فيه نوعاً من التجرد التام وطرح المرئيات العقلية بما لا يدعو إلى تأويل أو ربط بأى جوانب انتمائية قومية أو عقدية كما قرر ذلك رئيس نيابة مصر (محمد نور) آنذاك ليرفع عنه عنف الهجوم، وقسوة الحكم[٢٩].

إن تأثر طه حسين بالمناهج الغربية فى الدرس والتفكير استحابة طبيعية لنواميس الحياة وتفاعل الأحياء فيها، فليس هناك من دارس إلا تأثر بمن درس عليه شكلا من الأشكال، وما من مثقف إلا فعلت فيه آثار قراءاته وثقافته، وما من

مصدر ارتوى منه إنسان كائنا من كان إلا انعكست عليه ظواهر هذا الرواء ومظاهره.

على أن المتتبع لآراء طه حسين فى الأدب العربى لا ينفى تلمسه للاهتمام منه فى معظمها نحو بعث الفكر العربى للنماء والتأمل والإثمار بمثل ما سبقت الإشارة إليه ومثل هذا الاهتمام لا ينفى عنه – بحال من الأحوال- واقع التأثر بمناهج الغربيين، هذا التأثر الذى لم ينج منه كثيرون من المربين والمفكرين والأدباء فى زمننا الراهن، وقد رجدنا وجه الأدب العربى الحديث يتقنع بخطوط الأدب الغربى أفكاراً وصياغة ومنهاجاً وانقسم الناس فى وقتنا بين (حداثيين، وتراثيين)، وفئة ثالثة لا هم من هؤلاء ولا من أولئك، وما وجدنا إلا قلة قد تعرضت لعقيدتهم ونواياهم، بينما هناك من يلتمس لهم الأعذار.

إن واقعة التأثر تقع على المرء فتمنحه شيئا من القناعة، وتفتح له هذه القناعة أبواب السير فى اتجاه خطوط ما تأثر به، وقد يمضى المرء فى هذا قانعاً ممتثلاً، وقد يتوقف إن هو أدرك شططاً كان نتيجة الانبهار بما تأثر به والانقياد نحو خطوطه فى لحظة الانبهار تلك فيستعيد قيادة دفته نحو أساسه وجذوره، ولعل هذا ما يمكن أن يمثل حال طه حسين بين تطبيق منهج الشك فى الشعر الجاهلى القديم فى كتابه (فى الأدب الجاهلى) من قبل ومن بعد، وبين منهجه الإصلاحى فى دراسة الأدب فيما وضع من بعده من محاضرات أو مقالات أو مؤلفات.

ومع كل ما أثاره كتابه هذا من الهجوم والنقد، إلا أنه يعد فتحاً جديداً وجيداً لاستقرار منهج البحث والدرس المنظم القائم على المقارنة، والاستقراء، والتخريج بشكل لم يألفه الباحثون العرب فى ذلك الوقت، وما كَانَ هذا الكتاب ليثير مثل ما أثار من الضجة الكبرى لو لم يستغل خصومه ما فيه من نيل بأمور الدين[٣٠]، خاصة أن هناك حقائق تاريخية فى الكتب السماوية لا يجوز إخضاعها لأى منهج سوى منهج التسليم بها والإيمان بصدقها وثباتها[٣١].

وإن كان طه حسين قد ذهب مع منهج الشك مذهباً مخالفاً، تعرض فيه لمثل هذه المسلمات بشىء من التجرد، أثار عليه حفائظ السلطتين السياسية والدينية

وكذلك الهيئة العلمية فى الجامعة فحوكم، وأوقف عن التدريس فى الجامعة، بل ونقل إلى وزارة المعارف، ثم فصل، كما أوقفت بعض الصحف نفسها للتصدى له مثل، كوكب الشرق، والأهرام، كما زادت عنه ونافحت عن "موقفه السياسة"(٣٢)، وكذلك فعل المفكرون، فوضعوا مؤلفات عديدة فى الرد عليه(٣٣).

ولا نود أن ندخل فى تفاصيل هذه المعركة فقد أغنتنا عن ذلك بعض الكتب التى صنفت لهذا الغرض التى أشرنا إلى بعضها فى الهوامش، ومنها ما جاء ملتزماً بالمنهج الموضوعى فى تناول آراء طه حسين وتقويمها على أسس علمية، على حين جنح بعضها إلى المنهج الخطابى الذى يتجه إلى الصراخ والتبكيت والتجريح الشخصى أكثر من اتجاهه إلى التقرير العلمى والموضوعى، مما أبعد هذا النقد عن المنهج السوى.

ويظهر لنا من خلال الجدل حول هذا الكتاب ما تركه من أثر فى الوسط الأدبى والثقافى والتعليمى على مستوى أبعد رقعة من الأرض المصرية، وهو – على اختلاف الآراء حوله– قد ساعد على ابراز مفاهيم جديدة ووضع العديد من دارسى الأدب العربى وتأريخه أمام طريقة جديدة ومختلفة عما عما ألفوا فى دراسة الأدب العربى، وإن كانت البذور الأولى لمنهج الشك فى تسخير الأدلة بإقامة الافتراضات، ومعالجة النقاط بشئ من الوضوح والصدق دون مواراة أو تحايل، إنما هى ذات أساس عربى يمكن تلمس وجودها لدى الجاحظ وابن سلام وابن هشام وسواهم، إلا أنهم لم يوغلوا فى بلورتها وتطبيقها كما فعل الغربيون، وإن كانت قد جاءت طيفاً يعبر بين آرائهم، وإلماحاً لا تبخل به مناهجهم(٣٤).

وعليه دارت محاور الكتاب فيما يتعلق بالشعر، والتعليم، والقديم، والجديد، والرواية والانتحال واللغة، متحرراً من الأعراف والتقاليد التى نهجها الدارسون فى دراستهم للآثار الأدبية العربية القديمة، إذ اتجه فى منهجه نحو إعادة النظر والتنقيب فيما ترك من آثار وصولاً إلى نتائج لم يألفها الناس، وفى ذلك محور الجدة التى قام عليها منهجه فى هذا الكتاب، خاصة إنه يبحث فيه عن حقيقة أدبية تأريخية، اعتمدت النص والرواية المتصلة، ولم يبحث عن حقيقة فلسفية عقلية

محضة، ولو أنه تخلى عن بعض عصبية فى منهجه " لكان قريباً من الصحة فيما يرى، ولتدبر الأمور بأسبابها القريبة منها واستعان عليها بما يصلحها"[٢٥].

ونحن فى هذا البحث لا يعنينا جانب الدفاع عن طه حسين أو الهجوم عليه بل نحن نهدف إلى الإبانة عن دوره فى الإسهام فى جانب التجديد والإصلاح - كماذكرنا سابقاً- فيما يخص الدرس الأدبى، وفى ضوء تتبع ما كتب فى غير مجال (الشعر الجاهلى) يمكننا أن نقف على محاور منهجه فى هذا المجال.

إن لمنهج طه حسين الإصلاحى محورين مهمين:-

(أ) محور الأخذ.

(ب) محور العطاء.

(أ) محور الأخذ يتحدد فى المجالات الآتيه:-

١- الأدب الأصيل أو التراث.

٢- الحضارة الحديثة بمعطياتها ومناهجها بالنظر إلى إنسانيتها وليس موقعها الجغرافى.

٣- البيئة بمؤثراتها وعواملها.

٤-ذات الأديب.

٥-معلمو الأدب، ومناهج الأدب المدرسية.

٦- الثقافة العامة بروافدها المختلفة.

٧- فهم الأدب واللغات الأخرى لأهمية عنصرى الفهم والإفهام.

٨- العلم والأدب صنوان، وهما مجالان للتفاعل.

ب- محور العطاء ويتمثل فى:-

١- التجديد فى أساليب التعليم.

٢- التجديد فى وسائل التذوق والإدراك.

٣- التجديد فى مجالات بعث الثقافة العامة.

٤- لا مانع من إثراء الجدل والحوار لإنتاج أفضل وأجد.

٥- بعث حركة النقد وتأهيل الناقدين.

٦- محاربة الجمود والكسل والتراخى بإحياء الوعى ويقظة الفكر.

٧- الوصول إلى المثل الأعلى لتحقيق الأدب الخالد.

٨- العمل على إحياء اللغة الأصل وإثرائها.

٩- التعادلية بقدر ما يكون الاهتمام بالأدب يكون الاهتمام بالعلم.

وهذان المحوران يعتمدان على سعة الأفق، وشمول النظرة، وأصالة الذوق. ويجدر بنا أن نقف على أهم النقاط التى شملتها وتضمنها محوراه بشئ من التفصيل.

ما الإصلاح؟:

إن الاصلاح فى عرفه شئ محتوم، لا مفر منه فى مجال الدرس الأدبى، يتجه إليه بادئ الأمر عن سبيلين: أولهما تحبيب قراءة النصوص العربية وتفهيمها للدارسين فى جميع المراحل الدراسية وتقريبها إليهم، وإحسان اختيارها لهم، فالأدب العربى ليس جافاً ففيه ما يرضى حاجة الشعور ويقوم عوج اللسان، ويصلح فساد الخلق، وما تلك المهمة لأحد بمثل ما هى للمسؤولين عن التربية والتعليم ومناهج الدرس فى هذه المجالات[٣٦].

ولا يكفى التوجه إلى الدارسين دون العناية بمن يقوم على تدريسهم، ليكونوا من القارئين بفهم، والمتذوقين بعناية، فتسند إليهم عملية الاختيار والتدريس. لذلك فإنهم يحتاجون إلى الإعداد والتدريب، وهذا سبيل ثانٍ يؤدى إلى جعل الأدب أداة تعبير، ووسيلة بيان، ومظهراً تاريخياً، ومرآة حياة، وموضوعاً للبحث العلمى، وهذه الفئة لا يضير أن تكون من الكتاب الأدباء أنفسهم، ومن الشعراء والنقاد ممن يقدرون على الابتكار فى هذا المجال، ولا يعوزهم إدراك الهدف[٣٧]، وعنهم تتحقق سبيل ثالثة تؤدى إلى ثقافة عريضة واسعة، لا يستغنى عنها الأدب المتصل بطبعه بأنحاء واسعة من الحياة، وبأفاق لا حدود لها من التجربة الإنسانية المتواصلة، ولن يحظى منه بشئ امرؤ عجز عن إقامة المقارنة، ومحاجة الموازنة، والوقوف على جوانب عديدة من أوجه العطاء الإنسانى كما فعل القدماء منا إذ يقولون: " إن الأدب هو الأخذ من كل شئ بطرف، فلم يتركوا فى زمانهم علماً إلا وحرصوا على

الوقوف عليه، أو حضارة إلا وعرفوا أوجهها وتلقوا عنها، وأتقنوا قديمهم إلى جانب جديدهم(٣٨).

فالتعليم أمر مهم، وهو حق يجدر أن يشاع بين الناس، ليكون وسيلة إلى الصقل، والتقويم، وحسن التذوق، والإمتاع، كالماء والهواء هما حق للجميع يتلقاهما الكل فى أجواء مناسبة وبدوافع جيدة(٣٩)، -هى هذه التى ذكرت-، ليصل الماضى بالحاضر، ويعرف بالقديم والجديد، وبالأصيل والدخيل، وبما يحقق القدرة على التفاعل والتجديد.

موقفه من الأدب العربى القديم:

إن طه حسين يؤكد ضرورة دراسة الأدب العربى القديم، وجعله المنطلق والقاعدة لأنه قادر على أن يكون كذلك بما له من مقومات وأسس، ليست تقف عند صفة القدم والتراث، بل تتخطى إلى المرونة والمعاصرة، والاحتواء والشمول، والشخصية والاستقلال، إلى جانب أنه قادر على أن يظل أساساً من أسس الثقافة الحديثة، لأنه صالح لذلك، وأن يظل غذاء للشباب لأنه يشمل كنوزاً قيمة صالحة لأن تكون كذلك(٤٠).

موقفه من الحضارة الحديثة:

يرى أنها لم تحمل إلى العقول العربية خيراً خالصاً كما يظن الذين رأوا ذلك وإنما هم يخطئون فى ظنهم هذا ... فقد حملت الحضارة الحديثة إلى عقولنا شراً غير قليل، لم يأت منها وحدها، وإنما أتى من أننا لم نفهمها على وجهها، ولم نتعمق أسرارها ودقائقها، ولم نأخذ خيرها وندع شرها، وإنما أخذنا منها بالظواهر، وقنعنا منها بالهين اليسير، فكانت الحضارة الحديثة مصدر جمود وجهل كما كان التعصب للقديم مصدر جمود أيضاً(٤١).

بين القدماء والمجددين:

وهو يرى أن هناك فئة من الذين جعلوا يتجهون إلى التجديد فى الأساليب بعد أن اطمأنت إلى أنها أدت حق البيان، وهى تمضى على نحو من البديع كان مألوفاً فى أوائل القرن التاسع عشر بعد أن هبت رياح الحياة الغربية تتقاطر عليهم

من الشمال واليمين، فتبعث فيهم روح التغيير تارة، وتشدهم إلى الإبقاء على ما هم فيه تارة أخرى.

وما كاد الزمن يسرع بهذا التأثير حتى انتشرت الوسائل التعليمية والتثقيفية المختلفة، فتبدلت لها أطوار الحياة، وتلونت لها أوجه الأمور، واندفع الناس إلى العلم. وظهرت بذلك المدارس تنتشر فى كل مكان، واتسع المجال للنشر والترجمة والصحافة، وشيئا فشيئاً اتجه الثائرون والشعراء إلى الاتصال الوثيق بالأساليب القديمة ينشئون بها أدبهم، ويسرعون إلى التجديد فى مضامينها، خاصة بعد دخول المطبعة إلى حياتهم الفكرية، إذ أخذت المطبعة " تحدث فى مصر وانشرق أثراً كالذى أحدثته فى أوربا إبان النهضة الأوربية منذ قرون[٤٢].

إن هذه الفئة من أولئك الثائرين الذين قلدوا أساليب القدماء كالجاحظ وابن المقفع، أو فيما بعد قلدوا الشعراء والكتاب الغربيين، أو من أولئك الشعراء الذين تمسكوا لأبعد الحدود بالأساليب العربية القديمة، إنما هم يعبرون فى رأى طه حسين عن ثراء هذا القديم وقوته وصلاحيته الباقية[٤٣]، حيث إنه يلائم عواطفهم، ويقرب من نفوسهم، ويصورهم فى مشاعر وأحاسيس تليق بتجاربهم ولا تعجز عن نقل ثقافة الغرب إليهم بلغتهم ذات الأسلوب الرصين الذى لا يعجز عن أداء هذه المهمة.

غير أن هؤلاء القوم – كما يرى– قد نهجوا بعد ثورة الطباعةنحو طريقين متعاكسين: أما الشعراء منهم فتمسكوا بالقديم أو كادوا، وأما الناثرون فهم من جرى إلى الإمام، ولم يتخلف منهم إلا نفر قليل[٤٤]، وهذا ما جعلنا نجد نفثة من نسائم فحول الشعراء الجاهليين والإسلاميين فى شعر شوقى وحافظ والبارودى من قبلهما. وعليه فهو يرى أن المفكرين العرب، قد خضعوا لمعطيات الحضارة الحديثة، كما أنهم ثبتوا أمام تأثير وقوة الأدب القديم، وهو أمر طبعى إذ أن ثراء الأدب العربى القديم يجعله رافداها ما من روافد الفكر العربى، كما أن عطاء الحضارة الحديثة لا يقل أهمية فى رفد المثقفين بتأثيرها مهما اختلف نوع التأثير وحجمه.

موقفه من أساس المثل الشعرى الأعلى:

أساس المثل الشعرى الأعلى هو البحث عن اللذة الفنية فى الأدب، بصرف النظر إن كان هذا الأدب قديماً أو جديداً: " فالناس يخطئون حين يظنون أن أصحاب الجديد لا يرون اللذة الفنية إلا فى الجديد، وهم سخطئون أيضاً حين يرون أن أصحاب القديم لا يجدون اللذة إلا فى الشعر القديم، إنه يجد فى قراءة القديم لذة لا تعدلها لذة، ومتاعاً لا يشبهه متاع لأنه يرى أن القديم والجديد لم يستمدا جمالهما الفنى من القدم أو الجدة وحدهما وإنما استمداه من الروح الخالد الذى يتردد فى طبقات الإنسانية كلها، ريحل فى كل جيل، ولكن بمقدار يختلف عنه فى الجيل السابق له أو اللاحق به، وهو يتشكل فى كل جيل بشكل يلائمه، ويتصور فى كل بيئة بالصورة التى تناسبها[٤٥]. وهذا الروح الخالد له عوامل، يبحث عنها طه حسين فى طرق التذوق، وفى أشكال الجمال المختلفة، وفى البيئات المختلفة، تلك السبل تجمع الناس كلهم على اللذة الفنية مهما اختلفت بهم السبل يشعر المرء بالأدب القديم منقوصاً على حين كان يشعر به أصحابه كاملاً[٤٦].

ولتحقيق المثل الأعلى يرى طه حسين ضرورة هضم الثقافات المختلفة ليرقى الإنسان بذوقه، وقدرته على التذوق إلى مستوى إدراك هذا المثل فى الآثار الفكرية الإنسانية من جهة أوبلورة هذه الثقافات فى عطاء فنى جميل من جهة أخرى، كما حدث فى قصة (زنوبيا) لمحمد فريد أبى حديد حين التقت الثقافة الشرقية بالأخرى الغربية، فحققت المثل الأعلى للنموذج القصصى الراقى[٤٧].

وعنده أن الأدب لا يرقى إلى مستوى المثل الأعلى ليحقق اللذة الفنية، ويعبر عن الجمال الخلاق ما لم يأخذ أصحابه على عاتقهم مراقبته، ومتابعته، والنصح له، وتقليب أموره، ومعالجة صدوعه " وليس بعذر المقصر فى هذا الحق لأن الأدب يحيا من إنتاج الشعراء، والكتاب يحيا من إصلاح النقاد لآثار الكتاب والشعراء[٤٨].

من هنا امتزج تحقيق المثل الشعرى أو الأدبى الأعلى بوجود النقد على أيدى النقاد اليقظين، فالنقد هو خير السبل للوصول إلى المرتقى انميمون فى حياة الأدب الراقى ذى المثل العليا، باعث الجمال، وتحقق اللذة الفنية، غير أن الباحث

الناقد يجد نفسه فى مأزق وهو يواجه أنماط من الناس تكاد لا تعى دوراً للناقد إلا الثناء، والتقريظ، وفى ذلك تعطيل لمسيرة المثل الأعلى فى الأدب.

وطه حسين يرى أن الناقد أمام هذا الجيل من الأدباء الناشئين يضيق بالنقد، غير أنه لا يلبث أن يشعر بحق الأدب عليه، ويستقبل من أمره ما استدبر لتحقيق رسالته والإخلاص للأدب[٤٩].

موقفه من دور التجربة فى العمل الأدبى:

كذلك يرى طه حسين أن من أهم عوامل تحقيق الإدراك الفعلى عند الأديب من أجل أن يعطى صدقاً، ويمنح ما يؤهل للارتقاء بالذوق، ويبعث على التفاعل مع تجربة الفكر الإنسانى، وينمى تجارب الآخرين ويرقدها، هو أن يكتب الأديب ويعطى فى مجال يفهمه، وأن يفهم ما يقول، وإن هو حقق ذلك، كان فيما يقدمه عطاء خالد لا غبار عليه[٥٠]، سيكون هذا العطاء مشحونا بعاطفة أساسها الصدق تثير كوامنه لدى القارئ، فالعاطفة عنده هى قوام الأدب الصادق، متى صدرت عن دخيلة النفس الشاعرة الفاعلة إلى الناس كانت على درجة من التأثير البالغ فى النفوس ومحور هذا الصدق فيها هو دور التجربة الصادقة التى بعثتها[٥١].

موقفه من دور الأدباء فى بعث المثل الأعلى:

لا يتحقق المثل الأعلى عنده فى بيئة يكسل فيها الأدباء عن اللحاق بأفق الحياة العقلية القوية فى العالم الإنسانى المتسع، لأن فى ذلك ما يفسد الذوق، ولأن الأدباء وهم يلحقون فى همة لمتابعة ذلك الأفق ينمون ذوق القراء ويساعدونهم على إدراك عطاءات الفكر الإنسانى. الأمر الذى يحقق انعكاس الصدى المنبعث من مداهم المتلقى إلى مدى الأدباء الفاعل الذى تتصهر فيه التجربة ويتكون فيه المثل الأعلى، ويتحقق عنه التذوق، وتنفعل له لذة ذلك التذوق الخلاق. فالأديب الخلاق لا يردرى العقل، ولا يسلم نفسه للخيال، بل يدور فى انطلاق من عالم الإنسان فيكتب شيئاً إنسانياً، لا مجرد التماس دخان يخرج من الأفواه[٥٢].

إنهم بذلك يعنون بإحياء المثل الأعلى، وبإحياء الأدب، وبنشر الثقافة، ولا يتحقق ذلك عن كسل وتهاون وفتور همة، بل لابد لهم ألا يقنعوا وألا يرضوا

القناعة من غيرهم فى الأدب، والعلم والفن، وإنما الحق عليهم أن ينشطوا دائماً وأن يدفعوا الناس إلى النشاط دائماً وأن يقنعوا الناس بأنهم مهما يجدوا ويكدوا وينشطوا فيهم دون ما ينبغى لهم من الجد والكد والنشاط[٥٣].

ولا يكفى نشاط الأدباء وتحفيزهم للناس، وإنما لابد لهم ليحققوا ذلك من معرفة أنفسهم، وتحديد مواقعها، وعدم الوقوف عندها، أو الركون إلى ما تحقق لهذه الشخصية على أيدى الأدباء العرب القدماء، يقول فى ذلك: ... أكره للأدباء أن ينظروا إلى وراء .. إلا أن يلتمسوا ثروة من حياتنا القديمة الخصبة، فأما أن ينظروا إلى وراء ليعجبوا بما قطعوا من الآماد فإنى أخاف أن يغرهم ذلك ويدفعهم إلى العجب والتيه على حين ما تزال الآماد بعيدة أمامهم، وما يزال الوقت الذى يملكون أقصر جداً من أن يبلغهم الغاية وينتهى بهم إلى المثل الأعلى[٥٤].

وفى هذا صواب أدركه طه حسين وحذر منه، ولعله عامل رئيس فى تخلف الأدب العربى على أيدى أدباء ومفكرين ظلوا إلى يومنا الراهن يستنطقون الماضى، ويعيشون على صداه، إلى جانب أن هناك من بلغ بهم النظر إلى أنفسهم مبلغاً بعيداً ذهب معه كثير فهم ينظرون إلى أنهم كبار قد تطاولوا المدى واعتلوا الجبال، وصرفهم ذلك الإحساس الكئيب عن أن يأخذوا مواهبهم بالصقل، ويخضعوا قدراتهم للدربة والمران، ويتناولوا ملكاتهم بالتقويم، فغدوا نماذج تبعث على الأسى، والحزن[٥٥]، وتمثل العبئ على المجال الفكرى فى محتواه ودرسه وتحصيله، وعجزت مناهج الدرس وأساتذة التدريس أن تقف ضد تيارهم وتبعث الوعى نحوهم لدى الدارسين، فراحوا يرددون أسماءهم، ويقرأون آثارهم وهم فى قصور دون معرفة مواقعهم الحقيقية، فالرداءة إذا لم تواجه بتصدٍ كفؤ يكشفها ويقومها، سرت مسرى النار فى الهشيم، وعم بأسها ناشئة الأدب وشداته، قارئين أو دارسين.

وفى ذلك ما يدعو إلى عقم الأدب وتخلفه عن أداء دوره الإنسانى بالدرجة الأولى بما فيه من خصائص فنية، وظواهر فكرية، وقيم عامة وخاصة تنم عن تجربة الإنسان، وحياته بكل معطياتها وألوانها وتفاعلها.

وفى مثل هذا العامل ما يدعو إلى إشاعة فكرة تخلف الأدب، ولجوء الأجيال الجديدة إلى الافتتان بأدب أوروبا الذى يعمل خاصته والمسؤولون عنه على ما يؤهله لأن يكون صورة للتطور والتحديث ويبعد عن العقم والجمود، من هنا كثرت فيه المؤلفات، وتعددت الدراسات وتنوعت المقالات فى أوروبا " هذه التى يفتن بها بعضنا فتونا"[٥٦]، ومع هذا فإن طه حسين يرى أن الأدب العربى لن يضيره أو يقلل من شأنه رضاء أحد عنه، أو سِخطه عليه، وهناك من عمل على اجيال متفاوتة كثيرة لأن يغصن منه فلم يضع شيئاً، ولم يحقق غايته من ذلك[٥٧].

وطه حسين يلمح إلى أن على الأدباء الأناة فى البحث والاستقصاء فى الدرس، ولا يلمون إلماماً ويخطفون من العلم والمعرفة خطفاً، أو يرضون بما يقدمون ضائقين بالنقد غير عابئين به كى لا يتسطحوا فيما يعلمون، وإنما يقدرون على الوصول إلى ذروة الروح الخلاقة لتحقيق مثلها الأعلى فى أدب غايته فى ذاته، وخلوده فى روحه[٥٨].

وهو هنا يدعو إلى أن يأخذ الأدباء أنفسهم بالشدة ليتفوقوا، حيث إن التفوق على النفس. وعلى الفكر محور العطاء والتجربة إنما هو "أمنية لا تنال إلا فى عسر شديد"[٥٩]. يخضع له الأديب ويتبعه ليقوم استعداده لهذا التفوق، وينطلق هذا التقويم من محاور ثلاثة هى: ذات الأديب، والأديب ذاته، ومناهج الدرس والتحصيل الثقافى، والهيئة التعليمية القادرة والمتمكنة، وهذا سبيل إلى الإصلاح كما ينبغى، لا يتحقق للأديب بلوغه والحال كما يرى طه حسين لا ترضى فيما يتعلق منها بالأدباء كما أشير. أو بالثقافة العامة بين الأدباء العرب فهى أيضاً غير مرضية، ولا قريبة من ذلك الرضا المنشود، وكيف تكون كذلك والمادة الثقافية المنشورة والمتوافرة للقراءة والدرس هى أدب غربى صرف[٦٠]. تسعى لنشره كافة الجهات وتوفر له من الإمكانات مما يعمل على تحقيق ذلك الانتشار له دون سواه من الأدب العربى الذى يستحق جهداً مضاعفاً وبذلاً مستمراً.

من كل ذلك يتضح لنا أن فلسفة الإصلاح فى هذا الجانب لدى طه حسين تعتمد على أمرين: أحدهما يعنى بالجو العام الذى ينتج فيه الأدب بوصفه عاملاً

مؤثراً ومتأثراً، فاعلاً ومتفاعلاً، معطياً وآخذاً، وثانيهما يعنى بالأديب بوصفه القدرة الخلاقة على بعث التجربة الإنسانية إلى عامة الإنسانية، والمحقق للمثل الأعلى، المتفاعل مع الحياة، فى اتساعها وفى انبعاثها، وعنه يتحقق الذوق الفنى ويوجه إلى الحياة الخاصة الراقية والخلاقة. وقد تبلور هذا المنهج النقدى الذى يشمل اتجاهات طه حسين العامة والخاصة فى الإصلاح والتعبير عن الرغبة فى التنمية الفكرية منذ الثلاثينات من القرن العشرين[٦١]، إذ أن الأدب هالك إذا حده شئ غير الحياة والإنسان فيها[٦٢].

وفيما يلى نركز بشئ من التفصيل على عنصرى المنهج الإصلاحى لديه من حيث النظرية والتطبيق، وشرح العوامل والأسباب وطرح المقترحات للتغيير والتجديد.

عوامل التأثير على فاعلية الأدب:

إن طه حسين ينطلق نحو تحقيق شمولية منهجه الإصلاحى إلى تفصيلات تلعب دوراً مهما فى إيضاح السبيل نحو رقى الأدب والأدباء ليتحقق لهما مجال للانبعاث والتفوق، ولعل أهم عوامل التأثير فى فاعلية الأدب عنده هى حرية الأدب، لأن الأدب كما يراه "حر بطبعه، لا يقبل لحريته قيدا .. ولو كان من الذهب الخالص المرصع بالجوهر الكريم"[٦٣]. وحرية الأدب لا تتحقق فى أجواء تكبلها - مهما تضافرت- القوى لادعاء وجودها فى هذه الأجواء، وتتمثل قيود الفكر فى أشكال عدة، يرى طه حسين أن بعضها نابع من ذات الأديب، وتتمثل فى حدوده الفكرية والثقافية، وفى مدى تفاعله مع المعطيات الأخرى التى يتعرض فى تيارات الحياة من حوله، وفى مجال قدرته على التحليق مع أجواء الفكر والحس الإنسانيين، كما أن بعضها تنبع من خارجه وتتمثل فى الأوضاع الاجتماعية العامة من حوله، ونوعية تفاعلها مع بعضها، ثم ما تعكسه عليه من الآثار الجانبية والمباشرة.

وهو إن لم يكن قادراً على الاستيعاب، والتبلور والتفاعل، فإن ذلك ما يؤدى إلى الإجداب والإمحال وكلال الأذهان، لأنه سيكون بذلك عاجزاً عن العطاء الجيد،

وتكون بذلك القرائح قاصرة لا تعطى، والمواهب كامنة لا تزهر، والأذهان متبلدة لا تثمر.

وقد وجد طه حسين أن حرية الأدب هى قوام فاعليته، وحتى إذا كان الأدب حراً بطبعه، فإنه يعجز عن الظهور فى شكله اللائق فى أجواء خانقة غير مؤهلة لأن تظهر حريته، وتزهر خصائصه، ووجد فى المقابل أن هناك عوائق تقيد فاعلية هذا الأدب، بل وتعمل على إجدابه وإمحاله..

أسباب الإجداب الفكرى كما يرى طه حسين:

هى ثلاثة أسباب يشك كثيراً فى أن يكون لها نظائر[٦٤]، نوجزها فى التالى:-

الأول: تلك الاثار التى خضع لها الأدب خلال خمس عشرة سنة من قوام ربع قرن نمت فيها الأحكام العرفية وسادت، واختلفت وتراوحت بين هذا من الاتجاهات وذلك، حين كانت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩م، ثم حرب فلسطين سنة ١٩٤٨م، ونتج عن كل ذلك آثار من التغيرات والتبدلات التى لحقت بالإنتاج الأدبى بحكم الظروف العامة، الأمر الذى حد من خصوبة الفكر خاصة أنه أثر على حريته التى هى قوام الحياة الأدبية الخصبة ودونها الإجداب والإمحال وعقم التفكير.

الثانى: تلك المعاناة التى يخضع لها الشباب من المفكرين عن عدم التشجيع الذى يواجهون به لما ينتجون، إضافة إلى ما يكابده الكتاب والأدباء والشعراء من الضيق المادى نتيجة للأوضاع الاقتصادية العامة، إذ لا يجدون ناشرين يدفعون بعطائهم للنشر دون أن يقدموا أولاً أيديهم لأخذ ما يقابل هذه العملية مادياً، ولا يجدون مشجعين من القراء يتلقفون نتاجهم فيعوضونهم عما بذلوه -ولو معنويا- فى سبيل إخراجه إلى النور، وليس هناك من نقاد يتناولونهم بالعناية والرعاية والتقويم، ولا من وسائل النشر غير الناشرين تضيئ عن أوجه العطاء القناع ليعنم الناس عنه فيقبلوا عليه، مما يؤدى إلى تبديد الجهد، وخور العزيمة والتقهقر إلى الوراء فى انزواء وانطواء.

الثالث: ذلك التخلف والضعف اللاحقان بالتعليم الأدبى فى المدارس والجامعات ما تعلق منهما بمنهج الدرس، أو بالهيئة التعليمية، وكما هو مدرك فإن هذا السبب ليس أقل خطورة مما سبق، ولعله أن يكون أشد منها إمعاناً فى الشر وإساءة إلى الأدب، ذلك هو ضعف التعليم الأدبى فى مصر، بل وفى الدول العربية جميعها.

ولضعف أساتذة الأدب العربى، ومن ثم ضعف الدارسين أثره فى الأدب ودراسته، مما يثير الخوف والحزن معاً، لأن الطريقة التى يدرس بها الأدب فى جميع الجهات من مدارس، ومعاهد، وجامعات هى بحد ذاتها طريقة قاصرة دون تحقيق الهدف منها ومن درس الأدب.

ويعلق طه حسين على هذه النقطة بقوله:-

وليقل أساتذة الأدب فى مصر ما يشاءون، فإنتاجهم ضعيف لا يشك فى ذلك من عرف الذين يتخرجون فى الجامعات، وهل يصدقنى أساتذة الجامعات إن قلت لهم إنى عرفت طلاباً ظفروا بإجازة الليسانس من أقسام اللغة العربية ولم يعرفوا كيف يبحثون فى كتاب الأغانى لأنهم لم يسمعوا بفهرست الأغانى الذى وضعه جويدى[٦٥]. والدارسون فى الجامعات يضلون فى الكتب إن اطلعوا عليها، ويحفظون عن ظهر غيب إن كلفوا بالدرس، ويحصلون على الدرجات العلمية ويجتازون الامتحانات الخاصة بها وليس لهم حظ من فهم لما كانوا يقرأون. وطه حسين يرى أنه إذا قصر الشاب عن الفهم فهو أجدر أن يقصر عن الإفهام[٦٦].

وإن أمعنا التدبر فى هذه الأسباب، وجدنا خيطاً موصولاً إلى يومنا هذا، وتكررت على أنظارنا الصورة نفسها، فالتغييرات الطارئة على العالم العربى من خلال الحضارة الحديثة بمعطياتها المادية ووسائل اتصالها، وتلاحم المفكرين العرب مع معطيات هذه المتغيرات فى الزمن الدامى حروباً، وإبادة، وفناء وتضليلاً، وعجز الإنسان عن التعبير عما يكتم فى صدره ويمنع أنفاسه دون العبور فى اطمئنان من تردى حال البشرية، وتمزق قيمها، وتنازع الإنسانية فيها بين كرامتها وفنائها وبين بقائها واندحار كرامتها، وما رافق كل ذلك من اتساع وتعدد وسائل النشر وانشغال النقاد والمفكرين بأمورهم الحياتية وتحسين أوضاعهم الاقتصادية،

والعمل على تحقيق مكاسبهم الخاصة، أعطى فرص النشر لكل من أراد دون أن يكون له من الأدب حظ، أو من الموهبة والدربة نصيب فانتشر الطالح وفاق الصالح وشغل المدرسون فى الجامعات عن التطوير والابتكار إلا فيما يخص الجوانب الشكلية[٦٧]، مهملين جانب التطبيق، مهتمين بالنظريات والمسلمات، فأخرجوا دارسين مرددين فى غباء، جاهلين فى تخلف، الأمر الذى أدى لانتشار موجات فكرية مقلدة فى غير وعى، مكثرة فى غير إجادة، وقلل من الدور الفعال لمناهج الأدب السائدة، ولمناهج تدريسه، وقلل أيضاً من دور مدرس الأدب فى الجامعات وطرق تدريسهم للأدب الفعال. وبالتالى أخرج جيلاً بل أجيالاً متتابعة تبعد شيئا فشيئاً عن المورد الخصيب وتقترب من الإجداب.

سبيل الاصلاح:

كل ذلك يحتاج إلى إصلاح، وتركه دون معالجة أمر لا يرتضيه مفكر مثل طه حسينن ولئن كان هناك سبيل للإصلاح هو ذات الأديب، والأديب ذاته فإن هناك سبيلاً تطبيقياً أخر يقود إلى درء الخلل، ومعالجة السبل التى تصل إلى الأديب وإلى ذاته، بكامل خواصها، وتصل إلى المتلقى عنه بكل إمكاناته الفكرية والنفسية، بما فيه ملكة التذوق التى هى زبدة كل ذلك، والهدف من كل ذلك هو الأدب ذاته، إدراكه وتذوقه والإحساس به والتفاعل معه لأنه خلاصة المثل الأعلى فى تجربة الإنسان، وصورة لقيمه وأفكاره ومواقفه ومبادئه فى الحياة، فهو غاية بحد ذاته حين ينشئه الأديب ليس لغرض ما أو لبلوغ غاية ما وإنما نشداناً له بوصفه غاية نفسية، ينشئه الأديب لأنه لا يقدر إلا أن يفعل ذلك[٦٨]، وبالتالى فإن من يعطيه تلقيناً وتعليماً لا يفعل ذلك ليصل إلى غاية أسمى من إدراك الأديب نفسه وإدراك أبعاده العليا عن طريق تذوقه والوصول منه إلى قمة اللذة الفنية الراقية التى تصقل إحساس الإنسان وتطلعاته، وإذا كان هذا هو المقام الرافى للأدب، فكيف لمن أدرك ذلك أن يقف مكتوف الأيدى أمام وسائل بلوغ ذلك حين تكون قاصرة ودون المطلوب؟ إن تحقيق التغيير الأفضل لهذه الوسائل يأتى من التوجه إلى جانب

تطبيقى ضرورى هو أهم ركائز الإصلاح فى منهج طه حسين التغييرى والتجديدى ويقوم على النقاط التالية:

١- جانب اللغة العربية:

التأكيد على ضرورة إتقان اللغة العربية قراءة وكتابة وحديثاً، ذلك لأن اللغة عامل مهم من عوامل بلوغ الغاية العليا من تمام الغاية الفنية، فإذا كانت مهمة للمتذوق فإنها أكثر أهمية للكاتب وللمدرس، وللدارس حيث يضع الكاتب الكلمات فى مواضعها، فيؤنث المؤنث، ويذكر المذكر، ويصرف الأفعال وأزمانها فيوظفها فى أماكنها اللائقة من التعبير بها، ويعرف مواقع الحروف، ودلائل الإشارات، فإن فعل ذلك يكتب أدباً، وإلا فإن ما يفعله ليس من الأدب فى شئ[٦٩]، وإن إتقان الأديب للغته، وتنمية هذه اللغة يجعلانها قادرة على الوفاء بدورها والتعبير عن حياة العصر وعلومه وآدابه وفنونه[٧٠]، إلى جانب بلوغ أبعاد الفكرة التى تتناولها.

من هنا جاءت ضرورة إتقان الأديب للغة التى يكتب بها، كذلك لابد أن يفعل معلموها الذين دون إتقانها يعجزون عن بلوغ الدور الذى يقومون به، ويقصرون عن حسن إدراكه وعنهم يتم إتقان لغة الحديث والتعبير لدى متذوقى الأدب ودارسيه الذين منهم سيكون الأديب ومعلم الأدب وذواقته فى حركة أخذ وعطاء متواصلين. وإلى جانب الكتاب والمعلمين، على الدارسين أن يتقنوا دراسة اللغة فهى وسيلتهم إلى الفهم والحس والتفاعل.

٢- جانب واضعى المناهج الدراسية والمسئولين عن التعليم:

لأن الأدب فن رفيع، وما كان فى منزلة عليا لا يتدنى، وإنما يسعى إليه الناس من الدارسين والمريدين، والمحبين المتذوقين، فإن الأدباء ليسوا مكلفين بتعليم الناس أو البلوغ بهم قدراً من الإتقان الثقافى والتعليمى حيث يحققون بذلك الإتقان قدرا من التذوق الرفيع للآداب والفنون، بل " يطلب ذلك إلى الذين يقومون على شئون التربية وأمور التعليم"[٧١]، وفى ذلك اتجاه إلى الإصلاح يحقق شيئاً من التغيير وتحسين حال الناس وترقية الشئون الإنسانية كنتائج باعثة " تصدر عن

الأدب صدوراً طبيعياً، كما يصدر الضوء من الشمس، وكما يصدر العبير عن الزهرة، وكما تثير الروضة فى نفسك ما تثير من الجمال"[٧٢].

ومتى توجه واضعو المناهج والمسئولون عن التعليم نحو متابعة تطوير وسائل دراسة الأدب، ومرونتها وتيسيرها وحسن اختيار نماذجها، وإصابة أهدافها عن كمال محتوياتها، والتوجه إلى العناصر القادرة نحو أدائها وتقديمها وتوفير المكتبات للدارسين، وتنشيط حركة التفاعل فى مجالها بين الدارسين خارج قاعات الدرس، وداخلها، ومراقبة ذلك والعمل على التطوير المستمر لمواكبة حركة الأدب فى التفاعل مع الحياة، ومتغيرات المجتمع، فإن ذلك سبيل لأن يكون الأدب فى مكان الزهرة، يفوح عبيراً يتلقاه الدارسون فى شئ من الرضا والتفاعل الخلاق.

٣- جوانب إحياء الأدب الأصيل:

يتم دور الجوانب السابقة بإحياء الأدب الأصيل، مع الحفاظ على عبقرية اللغة العربية، وذلك بوصل حاضر هذا الأدب بماضيه، وبتطوير فنونه، وبتعميق مضامينه، مع مزجه بالآداب الحديثة فى مواكبة يقظة لمناهج الدرس الأدبى الحديث، لتتلاءم وروح العصر، وتتوافق مع معطياته الثقافية وماله من أساليب تفكير[٧٣]، على ألا يصدر عن تعصب لقديم أو تعصب لحديث، وإنما يدفعه إلى ذلك" ايثار القصد والاعتدال على الإسراف والجموح"، وقد قامت الحياة الحديثة على عنصرين من عناصر الإخصاب هما الأدب العربى والآداب الأوربية الحديثة"[٧٤].

إن فى ذلك ما يحقق آفاقاً جديدة، تفتح للحس قدرة على التصور والشعور والخيال، وذلك لأن الأدب لا ينبغى أن يكون تقليداً لأصل أو محاكاة لحديث، بل ينبغى أن يكون " مقتطفاً من الحياة التى يحياها الناس فى العصر الذى يقال فيه ... وسابقاً لها أيضاً"[٧٥]. فصلة الفكر الإنسانى تحقق سياحة راقية يتأثر فيها الفكر ويؤثر، ويؤسس مجالاً من التلاحم الإنسانى العالى إذ أنه ليس من شئ منعزلاً مستقلاً بذاته.

الانعزال الحقيقى هو الموت ... الناس جميعا تستعير من الناس جميعاً وهذا العمل العظيم هو التعاطف المتبادل عالمى ودائم كل شعب دون صلات فكرية مع غيره من الشعوب ليس إلا حلقة مفصولة من الشبكة الكبيرة[٧٦].

٤- جانب بيئة الأدباء والأدباء أنفسهم:

يركز طه حسين كذلك على ضرورة عدم اللهو بالأشخاص مهما بلغوا درجة النبوغ والكفاءة، عن درس ظروف البيئة التى يعيشون فيها. إذ هى فى رأيه " أعظم خطراً من أشخاص الشعراء"[٧٧]، فإن هناك من الدراسين، والمدرسين من يغالون فى الاهتمام بشخوص المفكرين دون النظر إلى عوامل البيئة التى ينشأون بها وينشئون أدبهم عنها، لما لها من تأثير كبير فى جوانب مهمة فى اتجاهات الأدب وظواهره العامة ودوره البنائى، ولأن مثل هذا الاهتمام قد سبب كثيراً من الغلو والشطط وإهمال الأسرة والحياة العامة كأجزاء متممة لتركيب الأديب وعوامله النفسية والفكرية، فهذا الجانب الإصلاحى يمثل عند طه حسين ما أسماه بعض الباحثين (بالكلاسيكية الحديثة فى اللغة العربية وآدابها" حيث اعتمد المواءمة بين السلفية والتجديدية، وقد أثرى طه حسين كتبه ومقالاته بهذا الاتجاه وعالجه بفكر حر واع فى قدرة تامة على النقد بشئ من الحدة حيناً والسخرية حيناً آخر[٧٨].

مما سبق وقفنا على سمات منهج طه حسين الإصلاحى فرأيناه اتبع فى طرحه الصراحة والصدق والكشف عن القصور والنقص فى كثير من الأمانة والوضوح، كما وجدنا أنه يعير الأدب العربى القديم الكثير من الاحترام ويجعله القاعدة والمنطلق، ويحرص على تطعيمه بالجديد المثرى والمفيد، والحرص على ما يؤهل لذلك من إتقان اللغة العربية الأصل، واللغات الأجنبية ليتمكن متذوقو الأدب -عند الإطلاع والنقل والترجمة- من فهم ما يقرأون وتذوقه بما يستحق من إحساس به لإذابة الفجوة الحضارية التى يحدثها عادة الجهل بلغات الشعوب الأخرى ممن يتعرض المفكر والدارس والمتذوق للأخذ عنها أو القراءة لآثارها الأدبية والفكرية، كذلك إلى جانب اهتمامه بلغة الأدب قراءة وكتابة وتعلماً وتعليماً وحديثاً عنى بالأديب ومكوناته وأدواته، وبمعلم الأدب ووسائله، وبالمسئولين عن تنظيم

مناهج دراسة الأدب فى الجهات التعليمية المختلفة، كما عنى بوسائل النشر، وبالناشرين وبدور الناقد فى مراعاة الأثر الأدبى بالعناية والنصح والنقد بما يبرز دور الناقد على الصعيد الإصلاحى لتنمية الإدراك، ولا يتحقق ذلك فى جو من التراخى والكسل، أو الوقوف عند بوابات التداعى لما فى القوم، واستلهام نماذجهم، ولعل المقصد الرئيس من كل ذلك هو بلوغ المثل الإنسانى الخالد من النماذج الأدبية المقدمة بتضافر عوامل تقديمها وإدراكها فى الأدب الفنى البارع فى سهولة ويسر ينفذ إليهما طبع الأديب فى مقدرة على استقلال الحس واستحضار الأشياء فى تجسيد حركة الصورة الفنية بشكل حى وموح، مع تفوق فى الإيجاز والخلوص من اللغط والحشو ليكون مؤهلاً للأداء والوصول(٧٩).

موقف طه حسين من الطريقة السائدة فى دراسة الأدب والانطلاق إلى مقياس علمى للدراسة :-

ينكر طه حسين على الجامعات، وأساتذة العلم والأدب، والأدباء من الشعراء والناثرين استمرارهم فى تطبيق الدرس الأدبى على نحو تقليدى يعتمد النواحى اللغوية الصرفة والبلاغية، ويهمل الجانب الفنى والجمالى فيغرق فى تتبع المحسنات البديعية، ويعنى أكثر ما يعنى بالزخارف اللفظية، ويتكلف الجوانب البيانية، ويغذ السير وراء القديم دون تمحيص أو درس سوى أنه قديم، ودون تحليل أو تفسير، أو بذل عناء أو كد فى سبيل فحص التجربة فيه، ومدى بلاغة التبليغ فيه بتلخيص الجمال والقدرة على إجلائه، وبالكشف عن الذوق وتوظيف قدرة التذوق، كما ينكر التعصب ضد الحديث لا شئ سوى أنه قادم مع تيارات التغيير، وبألوان المحيطات والجبال، والثلوج والزهور مما ليس لهم به عهد، ولا تجربتهم به معرفة، متجاهلين شمولية تجربة الإنسان، وأن زبدتها هى اللب لا اللفظ، والعمق لا الشكل، فلا المظهر يقصى عن المخبر، ولا المخبر ينفصل عن المظهر، والإنسان وحده هو محور القضية الأزلية بين الإحساس والتعبير عنه.

من هنا وجدناه يتجه نحو التغيير فى أساليب الدراسة والتدريس لمقررات الأدب العربى فى الجامعات، ويرفض ما ذهب إليه المؤرخون وهم يضعون دراساتهم وتقسيماتهم لمراحل هذا الأدب.

(أ)- المقياس السياسى أو النظرية المدرسية وقصورها :

يرى طه حسين أن هذه النظرية، على الرغم من سيادتها فى مناهج دراسة الأدب العربى، إلا أنها تمثل المقياس (السياسى) وهو مقياس فتن به (الشيوخ) الذين يرون أحقيتها فى التطبيق على حين يقف هو منها موقف الدارس ليكشف عن قصورها حيث يتمثل -كما يرى- فى النقاط التالية:-

١- أن هذا المقياس لا يحقق لدارس الأدب ومدرسه قدرة على الابتكار، أو روحاً للاختراع فى العلم فهو لا يعدو أن يكون تتبعاً وبحثاً لأنواع الأدب وفنونه ورجاله[٨٠].

٢- أنه لا يعبر بشكل صحيح عن رقى الأدب أو انحطاطه بعلاقته بالأحوال السياسية، فإذا كانت الأحوال السياسية الجديدة تخلق جواً مناسباً لإنتاج جيد، فإن الأحوال السياسية المضطربة والضعيفة أيضا تخلق القدرة نفسها على الإنتاج الجيد " ومن الجهل المنكر أن يقول قائل إن الأدب كان منحطاً فى القرن الرابع للهجرة، كما أن من المكابرة الفاحشة أن يقول قائل: إن السياسة كانت راقية فى هذا القرن[٨١].

٣- رغم من أنه لا ينكر ما هنالك من صلة بين السياسة والأدب، إلا أنه ينكر على ذلك الإسراف الذى أسبغوه على هذه الصلة فيما بينهما وفق هذا المقياس إذ يقول:

" نحن لا نحب هذه الطريق، ولا نريد أن نسلكها، بل نحن إنما نعلم ما نعلم فى الجامعة، ونكتب ما نكتب فى الرسائل والصحف لنمحو آثار هذه الطريقة ونطمس أعلامها ونمد مكانها طريقاً أخرى أقوم وأوضح وأهدى إلى الحق[٨٢] "

وخلاصة القول: إن طه حسين بنى معارضته لهذا المقياس على أمرين:-

الأول: أن هذا المقياس يربط فى جهل قوة الأدب بقوة السياسة والوقائع عكس ذلك.
الثانى: أن هذا المقياس برئ من العمق، وفيه من السطحية الشئ الكثير وذلك لأنه يأخذ الدارسين فى مسار ضيق يصلون منه فقط إلى معرفة الشعر والشعراء، والأدب والأدباء بما لا يزيد عن ذلك من الأمور التى تضفى عليهم روح البحث والتجديد فى مسارهم الدراسى ومعارفهم الفكرية بل يقفون عند حدود ما تعطيهم الكتب من الأنباء الأدبية فى أسلوب ملئ بالسجع والتكلف فى الصناعة اللفظية على أيدى المتعصبين لتقديم دون وعى شامل.

(ب)- المقاييس العلمية الغربية وقصورها:

كذلك وقف طه حسين من الذين كانت لهم صلة بالآداب الغربية وأخذوا مما ساد فيها من المذاهب والمقاييس ودرسوا بها الأدب العربى وأرخوا له، فرأى فيه ما يقصر عن تحقيق الهدف من درس الأدب العربى وتاريخه وذلك لما هى عليه من فلسفة نشأت عليها ولا تتناسب مع الأدب العربى[٨٣]، وركز على عوامل قصور هذه المقاييس فى النقاط التالية[٨٤]:

١- عامل اختلاف مؤرخى الآداب وهم يتجهون نحو علمية الأدب.

٢- انقياد كافة العلوم لهذه المقاييس والخضوع لأساليبها ومناهجها المختلفة بما فى ذلك الأدب والذى لم يخضع للصيغة العلمية بحكم طبعه وتكوينه، ولأن تاريخ الأدب لا يستطيع أن يكون موضوعياً صرفاً لتأثره بالذوق الشخصى قبل الذوق العام[٨٥].

٣- عدم قدرة مؤرخ الأدب على التخلص من شخصيته وأثر ذوقه فيما يعطى، مما يقصر بهذه المقاييس عن بلوغ مرتبة العلم الخالص الذى لو حدث أن أخضع درس الأدب له لانقطعت الصلة بينه وبين الأدب الإنشائى بفنونه ومضامينه وموضوعاته، وعجز بذلك عن الوصول إلى نفسيات المستثيرين بشكل يرغبهم فيه ويحببهم إليهم، لما يتطلبه منهج العلم من الجفاف.

٤- من جهة أخرى فإن طه حسين يرى أن تأريخ الأدب لو تمكن من أن يكون علماً، وفسر جميع ظواهر العملية الأدبية، فإنه يعجز دون الوصول إلى نفسية

المنتج فى الأدب، وإلى ما بينها وبين أثارها الأدبية من الصلة سواء كانت هذه الصلةنفسية أو بيئية، زمنية أو جنسية، ذلك لأنه سيظل عاجزاً عن تفسير النبوغ الذى هو محور التجربة الأدبية فى التعبير عنها وفى الوصول إليها وكذلك فى التفاعل معها.

أهمية النبوغ كمحور:

يلعب النبوغ دوره فى موقف طه حسين من هذه المقاييس، إذ يرى أنه محور العملية الأدبية، ولا يتم فهمه عن مقياس لا يصل إلى النفسية الإنسانية المنتجة وما بينها وبين إنتاجها من صلة.

(ج) المقياس الأدبى ونجاحه :

كان لابد لـ طه حسين -وهو يقف من المقاييس السابقة موقف الرافض فى تأويل وتفسير لعوامل الرفض-، ومن أن يستنبط منهجاً يرتضيه من جملة ما اطلع واستوعب وتكون لديه من قناعة، فوضع مقياساً رأى أنه الأكثر ملاءمة ومناسبة لدرس الأدب العربى أطلق عليه صفة: المقياس الأدبى، وهو مسلك دراسى بين الفن والعلم.

مزايا هذا المقياس:

١- يخلو من جوانب القصور المتوافرة فى الجوانب الأخرى.

٢- يحقق لتأريخ الآداب عند الدرس مرونة وخصوبة مما يؤدى إلى تحبيب الأدب إلى النفوس، وترغيبها فيه.

٣- يمزج بين الفن والعلم فيعنى بالذوق الشخصى، ويأخذ من العلم علوماً لا غنى للأداب عنها مثل علوم اللغة وفقهها ونحوها وصرفها مما لا يخضع لهوى شخصى أو ذوق خاص، فيتحقق عنه البحث الأدبى العلمى الذى من مسئولياته: الإعداد والتحقيق، والضبط، والتفسير، والتحليل، والتمييز، واستخلاص النتائج والخصائص التى لا يرفضها العقل والحس لاعتمادها جانبى العلم والفن حيث لا يستطيع أحد أن يمايز فى الدرس الأدبى بين العلم والفن أو يفصل بينهما على الرغم من الإقرار بوجودهما.

٤- يحقق للأدب شمولية لا تقف عند درسه فقط بل تعنى بكامل العوامل المرتبطة به وفهمها إذ بينما يعنى درس الأدب بالخاص من مأثور الكلام شعراً ونثراً يعنى تأريخه بالعام من بيئته وظروفه[٨٦].

المطلوب لتحقيق هذا المقياس:

١- تضافر جهود الباحثين لإعداد خلاصات بحثية متقصية، وبحث إقامة بعض المقارنات للخروج بالحقائق فى مجال الأدب العربى وتأريخه عن طريق تحقيق النصوص، ودراسة حياة الشعراء والكتاب، والبحث فى ظروف وموضوعات الحياة الأدبية من جوانب محددة ولكن فىشمولية لا ينقصها التركيز مما يتيح تحقيق اللذة العقلية والشعورية فى مساعدة لرقى الذوق العام[٨٧]، وذلك بإيجاد الهيئات العلمية المختصة وتنظيم أدائها معاً.

٢- يحتاج إلى الشخصية التى لها نصيب وفير من العلم، وآخر مماثل من الذوق الأدبى بحيث تتعادل القوة فى الجانبين.

٣- يحتاج إنى هيئة تقدم علوم النحو والصرف والبلاغة فى دراسات واضحة ومركزة.

٤- التأريخ الأدبى للآداب العربية لم يتحقق لأن لعدم وجود هيئات مماثلة قائمة على منهج علمى وبحثى وتربوى تطبيقى على وجه صحيح، فإن أهم أهم الخطوات لتحقيق ذلك هى:-

(أ) تدوين فقه اللغة العربية فى معجم تأريخى معتمداً على النصوص.

(ب) تدوين اللغة بوضع معجم دلالاتها وتطورها فى معانيها المختلفة.

(جـ) وضع معجم تأصيلى يعنى بالجذور الاشتقاقية للغة.

(د) تنظيم النحو العربى.

(هـ) توثيق التراث وتحقيقه ونشره بشكل مركز ومترال.

(و) تدوين التأريخ العربى على وجه علمى، وتدوين تأريخ الفنون العربية والمذاهب الأدبية التى اتبعت فى الدراسات الأدبية، والخروج عن محدودية ما وضع العرب القدماء فى بيئات محددة فى القرون الهجرية الثلاثة الأولى فقط

إلى ما جد وتطور على مدى حركة الفكر العربى وتغير اتجاهاته وفنونه وأساليبه.

(ز) إنشاء أقسام خاصة بالترجمة للقيام بدور فى هذا المجال لإثراء الحركة الفكرية[٨٩].

(ح) تنظيم الثقافة وتوحيد برامجها قياساً إلى الأقطار العربية كافة[٩٠].

إن نظرة إلى هذه الدعوة من طه حسين تدعونا إلى التساؤل عما تحقق منذ بدايات القرن العشرين عندما أطلق دعوته إلى يومنا هذا ؟ فلا نكاد نظفر إلا بغيض يسير، وبمحاولات لا تعدو أن تكون فردية، وبجهود لم تأخذ مداها كما ينبغى، وإلا لما كان حال الأدب العربى على أيدى أدبائه ومدرسيه ودارسيه على ما هو عليه مما نلمس ونطلع.

إن هناك دراسات عامة فى هذا المجال، شملت مذاهب الأدب وفنونه وأرخت له، وبحثت فى اللغة على نحو ما نشر فى الدول العربية، وجعل بعضها للدرس فى أروقة الجامعات، كما أن هناك مجامع أنشئت للغة فى مصر وسوريا والعراق، وألحقت بمجامع أخرى بالهيئات العلمية فى الجامعات، وأقيمت مراكز للأبحاث تابعة لها أو منفصلة عنها، كذلك أقسام لمتابعة الدراسات فى الآداب والفنون واللغات بعضها ملحق بالمؤسسات الثقافية الدولية أو الوطنية فى العالم العربى، إلا أن أثرها لا يعدو أن يكون محصوراً، والمستفيد منها لا يخرج عن خاصة القوم دون عامتهم، إلى جانب أن ما يطبق فى دراسة تأريخ الآداب وتدريس الأدب إنما يظل يقوم على ما وضع من مذاهب وأساليب سبقت الإشارة إليه، حيث لا يمثل الاستقلال فى التوجه أو الدرس، وإنما هو أخذ من كل واد غرسة، ومن كل بستان زهرة، ومن كل بحر قطرة، ومن كل شجرة ثمرة، وأصبح الدارسون لا هم من هؤلاء ولا هم من أولئك يترددون كالمتلكئ، ويرددون كالإمعة يفعلون ما يفعل الأول، ويقولون ما يقول الثانى، وفى ذلك مسخ لشخصياتهم وطمس لقدراتهم، وضياع لدور الأدب الحقيقى والفاعل فى حياتهم، وهم كالراحلين دون مركب لا

يكادون يصلون مع الموجة إلى شاطئ إلا وتأخذ بهم الموجة الأخرى إلى تيارات أخرى.

ولعلنا سوف ندرك أن شيئاً خلاقاً لا يمكن أن يتم إلا بطرح مقترحات جديدة كما فعل طه حسين وإلا بتزامل الرغبة فى تحقيقها والعمل على الإحساس بها والنشاط نحو تطبيقها.

وعلى منهج الإصلاح فى دراسة الأدب عند طه حسين بشكل مختصر ومحدد يهيئ للدارسين خطوات الاتباع، نقترح أنه فى تحقيق هذا المنهج وتنفيذ خطوطه والأخذ بعناصره من الموجبات التى تؤدى إلى تطوير دراسة الأدب العربى وإلى تقويم مناهج وطرق تدريسه.

****

الهوامش وهى المصادر والمراجع مرتبة حسب ورودها فى البحث

١- السكوت، حمدى ومارسدن جونز، طه حسين.. ط٢- القاهرة: مركز الدراسات العربية بالجامعة الأمريكية ...، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، أعلام الأدب المعاصر فى مصر... سلسلة بيوجرافية نقدية ببليوجرافية-١ ص ٢٧.

٢- السكوت. ص ٣٠.

٣- السكوت ص ٣١، إذ قسم عطاء طه حسين إلى مراحل زمنية تمثل اتجاهاته الفكرية.

٤- تطور الأدب الحديث فى مصر، أحمد هيكل - القاهرة، دار المعارف ١٩٧٨م ص ٢٥١.

٥- هيكل - ص ص ٢٥١- ٢٥٢.

٦- السكوت. ص ٣٠ - ٥٦.

٧- ينظر إليها من خلال أجزاء كتابه: الأيام الثلاثة. وكذلك سامح كريم فى: معارك طه حسين الأدبية.

٨- هيكل، ص ٢٥٦ وما بعدها تحت عنوان: الأدب وغلبة الاتجاه التجديدى.

٩- يراجع الجزء الأول من الأيام.

١٠- السكوت. ص: ٤٠.

١١- حديث الأربعاء - القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٢م، ج١ ص٩.

١٢- حديث الأربعاء - ج٢، ص٤١.

١٣- حديث الأربعاء: ج٢ ص ٥٣.

١٤- السكوت ص ٢٣.

١٥- حديث الأربعاء ج٢، ص:٢٠ وما بعدها. كذلك يلاحظ أن هذا الاعتبار فى حديثه عن العصر العباسى فى كتابه: تجديد ذكرى أبى العلاء ، ص ص ٣٧ - ٣٨.

١٦- تجديد ذكرى أبى العلاء - ط ٧. القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٨م ص٢٩ وعلى هذا النحو اتجه شوقى ضيف فيما بعد عند وضع مؤلفاته واتجاهه فى

تقسيم العصور الأدبية حسب أدب المناطق مثل الجزيرة العربية، والعراق، وإيران، ونحوهما. وكذلك فعل غيره مثل عمر موسى باشا في كتابه: أدب الدول المتتابعة.

١٧- حديث الأربعاء، ج٢، ص ٦٥.

١٨- السكوت ص ٤٢.

١٩- حديث الأربعاء ج٢، ص ٧٠.

٢٠- النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي - محمد أحمد الغمراوي - القاهرة: دار الحكمة ١٩٧٠م، ص١٢٨:١١٦

٢١- تجديد ذكرى أبي العلاء. ص ١٥.

٢٢- حديث الأربعاء، ج٢ ص ٦٩. والسكوت ص ٤٠-٤١.

٢٣- تجديد ذكرى أبي العلاء، ص ١٦.

٢٤- السكوت ص ٤١.

٢٥- حديث الأربعاء ج١ ص ٨-٩.

٢٦- حديث الأربعاء ج١ ص ١٣- ٢٧.

٢٧- تجديد ذكرى أبي العلاء، ص ٢٠-٢١.

٢٨- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية - ناصر الدين الأسد، القاهرة- ط٤- دار المعارف ١٩٦٩م، ص ٢٨٧.

٢٩-السكوت. ص ١٩.

٣٠- معارك طه حسين الأدبية، سامح كريم ص ٧١، وانظر في ذلك: تحت راية القرآن، مصطفى صادق الرافعي ط٧ بيروت: دار الكتاب العربي ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م، ص ١٤٦.

٣١- نقد كتاب في الشعر الجاهلي، محمد فريد وجدي- القاهرة: دائرة معارف القرن العشرين، ١٩٢٦م، ص٦٩-٧٢.

٣٢- سامح كريم ص ٨٩.

٣٣- مثل: محمد الخضر حسين فى كتابه: نقض كتاب فى الشعر الجاهلى الذى صدر فى ١٩٢٦م. وكذلك محمد لطفى جمعه فى كتابه: الشهاب الراصد على الشعر الجاهلى، ومحمد الخضرى فى كتابه: محاضرات فى بيان الأخطاء العلمية والتاريخية التى اشتمل عليها كتاب " فى الشعر الجاهلى" فى عام ١٩٢٦م وسواها.

٣٤- الصراع بين القديم والجديد فى الأدب العربى، محمد الكتانى، الدار البيضاء- دار الثقافة، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٢م، ج٢ ص ١٠٦

٣٥- تحت راية القرآن، الرافعى، ص ١٣٥، ١٤٦.

٣٦- فى الأدب الجاهلى ص ١٣- ١٤.

٣٧- فى الأدب الجاهلى ص ١٥.

٣٨- فى الأدب الجاهلى ص ١٧ – ٢٠.

٣٩- سامح كريم ص ٢٦١.

٤٠- حديث الأربعاء، ج١ ص ١٣.

٤١- حديث الأربعاء، ج١ ص ١٣.

٤٢- حافظ وشوقى، طه حسين – القاهرة: مكتبة الخانجى ١٩٦٢م ص٢.

٤٣- حافظ وشوقى، طه حسين – ص٦.

٤٤- حافظ وشوقى، طه حسين – ص٦.

٤٥- حافظ وشوقى، ص ٢١- ٢٢ وما بعدها.

٤٦- حافظ وشوقى، ص ٢١- ٢٢ وما بعدها.

٤٧- فصول فى الأدب والنقد، طه حسين، القاهرة: دار المعارف، (د.ت) ص٥٠.

٤٨- حافظ وشوقى، ص ١٠٦.

٤٩- فصول فى الأدب والنقد، ص ٤٣.

٥٠- حافظ وشوقى، ص ١٢٥ وما بعدها.

٥١- حافظ وشوقى، ص ١٠٩.

٥٢- حافظ وشوقى ص ١٤٦، ١٥٠ – ١٥١.

٥٣- أحاديث طه حسين – ط٣- بيروت: دار العلم للملايين ١٩٦٦م، ص ١٢١.

٥٤- أحاديث، ص ٢١- ٢٢.

٥٥- خصام ونقد، طه حسين- بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٥م، ص ١٢- ١٣.

٥٦- خصام ونقد، ص ٧٠.

٥٧- خصام ونقد، ص ٦٩.

٥٨- خواطر، طه حسين، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٧م، ص١٠٣. وكذلك خصام ونقد، ص٦١ – ٦٧.

٥٩- جنة الشوط، طه حسين – القاهرة: دار المعارف، (د.ت) ص٦٥.

٦٠- أحاديث، ص ١٢٧.

٦١- محمد مندور- الناقد والمنهج، غالى شكرى- بيروت- دار الطليعة ١٩٨٠م، ص ٢٧.

٦٢- محمد مندور- الناقد والمنهج ص ٢٥.

٦٣- خصام ونقد، ص ١٠.

٦٤- خصام ونقد، ص ٨ – ١١.

٦٥- خصام ونقد، ص ١٢.

٦٦-خصام ونقد ص١٢.

٦٧- المقصود منها تطوير نظم الدراسة، وإجراء تقويم دورى على المناهج الدراسية، وإثراء المكتبات، غير أن المحتوى لمقررات الدرس الأدبى تظل بعيدة عن المطلوب لها من التطوير، وتظل أساليب التدريس قاصرة دون الوفاء بمتطلبات الإفادة المرجوة.

٦٨- خصام ونقد، ص ٥٨.

٦٩- خصام ونقد، ص ١٢.

٧٠- معالم على طريق الكلاسيكية العربية الحديثة، طه حسين ومحمود تيمور لمؤلفه: محمد خلف الله أحمد، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٧م، ص٥.

٧١- محمد خلف الله أحمد: معالم على الطريق، ص ٣٦-٣٧.

٧٢- خصام ونقد، ص ٥٨.

٧٣- محمد خلف الله أحمد: معالم على الطريق، ص٥.

٧٤- خصام ونقد، ص ٧٠.

٧٥- خصام ونقد، ص ١٤٣.

٧٦- بيشوا، كلود وآخرون. الأدب المقارن، ترجمة رجاء عبد المنعم جبر. الكويت: دار العروبة ١٩٨٠م، ص١٧.

٧٧- خصام ونقد، ص ٢٥٦.

٧٨- محمد خلف الله أحمد، معالم على الطريق، ص٧،٦،١٣. وكذلك عبد المحسن طه بدر فى كتابه: تطور الرواية العربية.

٧٩- محمد خلف الله أحمد، معالم على الطريق، ص٣٤ -٣٦.

٨٠- فى الأدب الجاهلى، ص٣٧.

٨١- فى الأدب الجاهلى، ص ٣٩.

٨٢- فى الأدب الجاهلى، ٣٨.

٨٣- البير يسى د.م الاتجاهات الأدبية الحديثة، ترجمة جورج طرابيش- ط٢- بيروت- منشورات عويدات، ١٩٨٠م، ص٢٠٠.

٨٤- المقدسى، ص ٥٩٧. وكارلونى، ص ٤٥ - ٤٦.

٨٥- فى الأدب الجاهلى، ص ٤٦.

٨٦- فى الأدب الجاهلى، ص: ٢٢، ٣٢.

٨٧- فى الأدب الجاهلى، ص ٤٨، ٥٢.

٨٨- للدكتور/ محمود حجازى، جهود فى هذا الصدد، راجع كتابه: علم اللغة العربية، مدخل تاريخى مقارن فى ضوء التراث واللغات السامية، الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٣م، ص٢٩٩- ٣٧٩.

٨٩- مستقبل الثقافة فى مصر – القاهرة: مطبعة المعارف، ١٩٤٤م، ص ٣٦٨- ٣٧٠.

٩٠- مستقبل الثقافة فى مصر- ص ٣٨٩.

هذا وبالله التوفيق،،،